مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد ( 12 ) العدد ( 03) السنة ( 2025)

الصفحة314–327

# فرطناتش ما قبل التاريخ: مهد الحضارة وبوابة الإنسان الأول

# *Fratnatch in prehistoric times: A cradle of civilization and a threshold to early human presence*

**طهيرة عواج**

**جامعة باتنة1 الجزائر**

Tahira.aouadj@univ-batna.dz

معلومات البحث

**تاريخ الاستلام: 2025/08/05**
**تاريخ القبول:2025/11/25**

**Printed ISSN: 2352-989X**
**Online ISSN: 2602-6856**

**الملخص:** يهدف هذا المقال إلى دراسة العلاقة المركبة والمتفاعلة بين الإنسان والبيئة في السياق التاريخي والجغرافي للجزائر، من خلال تتبع تطور الاستيطان البشري على أرضها منذ عصور ماقبل التاريخ وصولا إلى نشوء الممالك البربرية، ومن ثمة فهم كيفية تأثير البيئة الطبيعية الجزائرية —من موقعها الجغرافي وتنوع تضاريسها– في تشكيل الحضارات الأولى، وكيف تفاعل الإنسان مع هذه البيئة لإنتاج نماذج حضارية فريدة، ساهمت لاحقا في ظهور كيانات مستقلة ذات طابع مميز.

اعتمدت الدراسة على منهج التحليل التاريخي، وذلك بتتبع التطور الزمني لحضور الإنسان على أرض الجزائر، مع التركيز على المكتشفات الأثرية الكبرى، كما يستثمر المنهج الجغرافي في دراسة الموقع الطبيعي للجزائر.

**الكلمات المفتاحية:** فرطناتش، بيئة، حضارة، نوميديا.

**ABSTRACT**

This article aims to examine the complex and interactive relationship between humans and the environment within Algeria's historical and geographical context. It traces the evolution of human settlement in Algeria from prehistoric times to the emergence of Berber kingdoms, thereby seeking to understand how Algeria's natural environment – its geographical location and diverse topography – shaped early civilizations. The study also explores how humans interacted with this environment to produce unique civilizational models that later contributed to the rise of independent entities with distinct characteristics.

The study employs a historical analysis methodology, tracing the chronological development of human presence in Algeria, with a focus on major archaeological discoveries. It also utilizes a geographical methodology to examine Algeria's natural location.

**Keywords**: Fratnach ; environment ; civilization ; Numidia .

## 1. مقدمة:

إن الدارس لتاريخ الشعوب يتبين مدى أهمية دراسة جغرافية المكان الذي تكونت وتطورت فيه، لما له من أهمية كبيرة في معرفة خصائصه التي تؤثر لا محالة في بناء وتركيبة وثقافة وعادات وتقاليد هذه الشعوب، هذا إلى جانب أهمية معرفة طبونيميتها، لما لمعرفة أسماء الأماكن من دلالات مرتبطة بطريقة أو بأخرى من دلائل حضارية وثقافية. فالجغرافيا علم يهتم بدراسة المكان والعلاقات المكانية، والتاريخ علم يدرس حياة الشعوب وتطور الحضارة وتقدم الإنسانية، فهو دراسة لسيرورة العلاقات البشرية، وبالتالي فإن دراسة المجتمع البشري تقتضي الربط الزمكاني في التحليل.

كما أن دراسة حضارات ما قبل التاريخ مرتبطة بتحليل الوثائق تحليلا علميا لاستخراج كل المعلومات الممكنة، ودراسة بقايا وعظام الحيوانات التي تمكننا من معرفة مختلف الحيوانات في مختلف العصور، وكذلك انقراض هذه الحيوانات له دلائله من حيث ارتباطه بالتغيرات المناخية، كذلك فإن دراسة أنواع النباتات تعتبر من الدعائم المساعدة في دراسة هذه الحضارات، وبذلك فإن علم آثار ما قبل التاريخ يستهدف التنقيب والبحث في حضارات الإنسان التي تعود إلى ما قبل اكتشاف الكتاب إذ تتوقف معرفة هذه الحضارات على فحص الوثائق المادية التي خلفها الإنسان.

من هذا المنطلق تكتسي دراسة ومعرفة وتمحيص الحضارات العديدة التي عرفتها فرطناتش- وهو اسم قديم أطلق على الجزائر والذي يعني السعيدة- في ما ماقبل التاريخ أهمية بالغة، وكذا تسليط الضوء على أصل الإنسان بها وأبرز الممالك التي حكمتها، وهذا لا يكون دون معرفة جغرافية المنطقة وخصوصياتها.

ووفقا لذلك، سوف يعالج هذا المقال جدلية العلاقة بين الإنسان والبيئة إشكالية الخصائص الجغرافية للجزائر، ومختلف الحضارات التي عرفتها مع الكشف عن أبرز خضائصها والمناطق التي شملتها، هذا إلى جانب معرفة أصل البربر، وما تميزت به النوميديتين الشرقية والغربية وحيثيات وإرهاصات توحدهما.

## 2. المدارس النظرية المفسرة للعلاقة بين الإنسان والبيئة:

تعددت التوجهات النظرية التي تفسر العلاقة بين الإنسان والبيئة باختلاف المدارس النظرية التي تنتمي إليها والتي تتمثل أساسا في:

### 1.2الحتمية:

تذهب هذه المدرسة إلى أن الإنسان خاضع خضوعا تاما لبيئته، فهي المحدد لثقافته، ونظمه الاجتماعية،...كما أنها المحدد للاختلافات الموجودة بين المجتمعات البشرية.

إن أفكار الحتمية ظهرت خلال قرون ما قبل التاريخ، لتبرز أكثر خلال القرن التاسع عشر ة أوائل القرن العشرين، ومن أبرز مفكريها: هيبوقراط، أرسطو، أفلاطون، استرابون، ابن خلدون، بودان، مونتيسكييه، فريديريك راتزل، ارنست هيجل، ديمولاند، إلين سمبل، فيكتور كزن.

لقيت هذه المدرسة انتقادات عديدة أبرزها غياب المنطق في تفسير تطور البشر واكتساب طبائعهم، فالبيئة ليست العامل الوحيد المتحكم في ذلك، بما أن الإنسان له عقل ميزه الله به، مكنه من السيطرة على الظروف البيئية وتاريخ التطور الإنساني أثبت ذلك.

### 2.2الإمكانية الجغرافية:

شهدت بداية القرن العشرين ذروة انتشار أفكار التيار الجغرافي، الذي ركز على قدرة الإنسان على التأثير في البيئة وتغييرها، فمع التطور الصناعي الهائل، وظهور الأدوات والآلات الحديثة تمكن الإنسان من التكيف مع مختلف الظروف البيئية القاسية.

يتجلى هذا التأثير في قدرة الإنسان على العيش في المناطق شديدة البرودة، أو شديدة البرودة، كما أن الإنسان هو من يقرر كيفية استغلال الموارد الطبيعية وتوزيع العمران، فالتقدم العلمي والتكنولوجي المتزايد يؤكد على دور الإنسان الفعال في رسم علاقة فريدة مع البيئة الطبيعية.

من أبرز رواد هذا الاتجاه فيدال دي لابالاش، لوسيان فيفر وإسحاق بومان، فلير.

### 3.2الاحتمالية:

جاء هذا الاتجاه ليحدث توازنا بين مغالاة الحتمية في إبراز قوى الطبيعة والإمكانية الجغرافية في إبراز قوى الإنسان، وقد انطلق من إشكالية: هل يمكن أن نحدد بدقة كل الأسباب التي أدت إلى ظاهرة معينة؟ وهي الحالة التي تبدو مستحيلة سيما في العلوم الإنسانية. وعلى هذا الأساس كانت أفكار هذه المدرسة وسطية بين الحتمية والإمكانية.

### 4.2الكمية:

عالجت هذه المدرسة الظواهر انطلاقا من الإحصائيات، وتحويل المعطيات البيئية والبشرية من تعابير لفظية إلى تعابير رمزية (هندسية). أي استبدلت الكلمة بالرقم، ليصبح الرقم لغة ووسيلة لفهم وإدراك واقع وحقيقة الظواهر الجغرافية، وبالتالي استخدام علم الإحصاء والرياضيات بشكل مكثف. ظهر هذا التيار على يد كريستالير في ألمانيا.

### 5.2الراديكالية:

ينطلق هذا التيار من كون الجغرافيا تدخل ضمن العلوم الاجتماعية، وهي بذلك تعمل على دراسة القوى التي تبدو أنها تفسر الواقع الاجتماعي، ومن أهمها امتلاك وسائل الإنتاج، وعلى هذا الأساس فالاتجاه الراديكالي يستند أكثر فأكثر على المذهب الماركسي، ويتبنى إشكالية المادية التاريخية ويعتبر أن الخيرات المادية هي التي تحدد في نهاية المطاف تطور تاريخ البشرية. من أبرز جغرافي هذا الاتجاه دافيد هارفاي.

### 6.2السلوكية:

انطلقت المدرسة السلوكية من فهم الفرد لذاته دون الأخذ بعين الاعتبار محيطه المادي أو جوانبه العرقية، إذ اهتمت بمسألة علاقة الإنسان بالمكان من جانب شعوره وأحاسيسه اتجاه المجال لفهم تعلقه به أو نفوره منه. من أبرز رواد هذا التيار يو فو تان، إدوارد رالوه.

الجدير بالإشارة هو انتباه بعض الجغرافيين في هذا الاتجاه إلى دور تصرفات الإنسان وسلوكه في التأثير على هذه البيئة إما سلبا بالتمادي في تلويثها، أو إيجابا بالعمل على المحافظة عليها. (الرديسي و جهينة، صفحة 6 بتصرف)

## 3. الموقع الجغرافي للجزائر وتضاريسها:

### 1.3الموقع الجغرافي:

تقع الجزائر شمال قارة إفريقيا ( تحتل مساحة 2381741 كيلومتر مربع ) وهي أكبر دولة إفريقيا، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط بشريط ساحلي يزيد عن 1200كلم، جنوبا مالي بحدود 1376 كم والنيجر بحدود 956 كم ، شرقا تونس بحدود 965 وليبيا بحدود 982 كلم وغربا المغرب بحدود 1559 كم والصحراء الغربية ب 42 كم وموريطانيا ب 463 كم.

فلكيا تقع الجزائر بين خطي طول °9 غربا و °12 شرقا وبين دائرتي عرض °19 و°30 شمالا.

### 2.3تضاريس الجزائر:

تتمثل تضاريس الجزائر بشكل أساسي في السهول، الهضاب، والسلاسل الجبلية، إضافة إلى الصحراء الشاسعة.

**أ–السهول:**

تنقسم السهول إلى نوعين رئيسيين:

- **السهول الساحلية:** هي مناطق منخفضة الارتفاع تمتد على طول الساحل شمال السلسلة التلية، من أبرزها سهل وهران، وهو سهل حديث وخصب يمتد من عين تيموشنت إلى نهر الشلف، يحوي العديد من الأودية، وسهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي 100 كم، وعرضه 50 كم، يطلّ شمالا على البحر، وجنوبا على الأطلس البليديّ. أما سهل عنابة فيمتد بين الجبال من مدينة سوق أهراس إلى البحر الأبيض المتوسط.
- **السهول الداخلية:** تتميز بارتفاعها الذي يتجاوز 500 متر، وهي محصورة بين التلال الجبلية للسلسلة التلية.

**ب–الهضاب العليا:**

تنقسم الهضاب العليا إلى قسمين:

- **الهضاب الشرقية:** هي أراض مرتفعة نسبيا (حوالي 800 متر)، تقع بين الأطلس التلي والصحراوي إلى الجهة الشرقية من جبال الحضنة.
- **الهضاب الغربية:** تمتد من جبال الحضنة إلى الحدود المغربية، وهي منخفضة الارتفاع الذي يتراوح بين 66م و100م، مما أثر على درجة الحرارة فيها والتي تتميز بالارتفاع.

**ج–السلاسل الجبلية:**

- **سلسلة الأطلس التلي:** تُمثِّل سلسلة الأراضي الساحليّة الموازِية للبحر المتوسِّط، والممتدَّة بين مضيق جبل طارق في المغرب الأقصى، والرأس الأبيض في تونس، مروراً بالجزائر، علماً بأنّها مُتذبْذِبة في العَرض، والارتفاع؛ حيث تتراوح في الاتِّساع ما بين 70–150كم، وفي الارتفاع ما بين 600–2000م. كما أنّ الاتِّجاه العام لمحور التضاريس يكون من الجنوب الغربيّ إلى الشمال الشرقيّ، أمّا في ما يتعلَّق بأهمّ جبالها، فهي: جبال وهران وأرزيو بارتفاع 650م، وجبال تلمسان التي يبلغ ارتفاعها 1843م، وجبال تسالة بارتفاع يبلغ 1061م، وجبال الظهرة التي يصل ارتفاعها إلى 1,071م، وجبال الضاية بارتفاع يصل إلى 1356م، وجبال الونشريس بارتفاع يبلغ 1985م، وجبال جرجرة التي تضمُّ قمة لالة خديجة والتي يبلغ ارتفاعها 2308م.
- **سلسلة الأطلس الصحراوي:** تمتد من مدينة فجيج ( الجدير بالذكر أن فجيج هي منطقة جزائرية منحتها فرنسا للمغرب بموجب معاهدة لالة مغنية.) في الغرب إلى إقليم الزاب في الشرق بمسافة تبلغ نحو 700 كم، تتميز بأنها أعلى من الأطلس

التلـــي، منهـــا جبـــال أولاد نايـــل، جبـــال الأوراس وبهـــا أعلـــى قمـــة في الجزائـــر، وهـــي قمـــة جبل شيليا بارتفاع يبلغ 2338 م

**د–الصحراء:**

تتميز صحراء الجزائر بثلاث مظاهر رئيسية، وهي: العرق، الرق، والحمادة، حيث تتميز هذه الأراضي بوجود الواحات وينابيع المياه في مساحات واسعة منها.

موقع، وخصائص، والامتداد الكبير للجزائر، يجعلها طبيعيا وحضاريا تنتمي إلى مجموعة من المجالات، ألا وهي الانتماء المغاربي، العربي الإسلامي، الإفريقي والمتوسطي.

## 4. حضارات الجزائر فيما قبل التاريخ:

تسهيلا للإدراك، قسمت مدة ما قبل التاريخ الطويلة جدا إلى شرائح كرونولوجية كبرى تناسب التغيرات الهامة التي حدثت في المجال البشري، وفي أنماط المعيشة وفي الشروط المناخية، وفي التقنيات.

جزيء الباليوليتيكي، وهو العصر الحجري القديم إلى: باليوليتي أسفل، باليوليتي أوسط، باليوليتي متأخر.
أما النيوليتي، وهو العصر الحجري الحديث، يعد رديء التسمية، إذ أن الحجارة كمادة أولية آنذاك، قد تعرضت لمنافسة الطين، ويحتمل أن ظهور الفخار مرتبط بظهور الرعي والزراعة.

فجر التاريخ الذي يختم عصور ماقبل التاريخ، فهو مرحلة غير محدودة، ومعرفتها رديئة. لقد اتصفت بالتخلي التدريجي عن الأدوات الحجرية وبظهور المعادن وتطور المقابر الميغاليتية الكبرى. أما الكتابة التي شهدتها بلادنا آنذاك فهي الليبية التي توصل العلماء إلى فك رموزها دون أن يسيطروا على فهمها. وتكون الروايات الأدبية المنسوبة لمؤلفين أجانب (إغريق ولاتين) مصدرا جديدا حول تلك الفترة. (ابراهيمي، 2007، الصفحات 14-15)

### 1.4حضارات العصر الحجري القديم:

**أ–حضارة الحصى المنحوتة:**

تم العثور على أقدم الأدوات (أو الأسلحة) التي صنعها البشر في كثير من مناطق العالم وخاصة في إفريقيا.

من المحتمل أن الناس كانوا يستعملون في البداية الحجارة أو الأغصان الموجودة في الطبيعة لكنهم شعروا بالحاجة في وقت ما إلى نحت تلك الحجارة، وهي عموما في شكل حصى، كي تصبح أكثر فاعلية.

وتقوم عملية نزع الزوائد اعتمادا على مراعاة محور واحد أو محورين متقابلين. ويحصل الصانع في جميع الحالات على قاطعة، قد لا تكون منتظمة دائما، ولكنها فعالة.

وعندما تجري عملية التشذيب في اتجاهات عديدة يمكن أن تأخذ الحصاة شكلا كرويا متعددا الوجوه.

لقد عثر في الجزائر على مثل هذه الحصى، خاصة في إقليم قسنطينة (منصورة) وفي الصحراء (رقان، وادي السالورة في إقليم عين صالح)، وعثر في عين حنش (العلمة قرب سطيف) على كرويات متعددة الوجوه ضمن رسوبات تعود إلى أوائل الزمن الرباعي (كواتيرنير). (ابراهيمي، 2007، صفحة 19)

**ب–الحضارة الأشولية:**

من الآثار الدالة على هذه الحضارة تلك المتواجدة بعين الحنش ومنصورة تمتد ما بين"الفترتين الجليديتين غونز الوسطى Gunz-Mindel وفورم الأولى Wirm1، بمعنى على امتداد آلاف السنين. وتتجمع الحقول أساسا في الطمي على ضفاف المجاري المائية أو البحيرات. أما حقول الطمي الرئيسية في الجزائر فهي حقول العمرية والعوينات وتاكدمت وأوزيدان وعرق تيهوداين. ومن بين حقول الينابيع لا بد من ذكر حقول تيرنيفين بالقرب من تيغنيف. (قداش، 1993، صفحة 12)

**2.4حضارات العصر الحجري الأوسط:**

**أ–الحضارة الموستيرية:**

استمدت الحضارة الموستيرية اسمها من موقع موستير ( يقع بالدوردون بفرنسا)، وهي معروفة جدا في أوروبا، لقد سمحت دراسة العديد من مواقعها بتمييز سماتها وأنواعها ومعرفة الإنسان الذي شيدها: إنه إنسان نياندرتال.

إن مواقع هذه الحضارة في بلاد المغرب نادرة. ويعرف منها في تونس موقع وادي العقاريب (بالقرب من قابس)، وموقع القطار (قرب قفصة). أما الجزائر، فإلى جانب بعض مواقع الأطلس الصحراوي التي لاتزال معرفتنا بها محدودة، نذكر موقع مغارة تيمية قرب وادي رهيو (حوض الشلف). أما في المغرب الأقصى فإن موقع جبل ارحود (جنوب جنوب شرق مدينة سافي) يعد من المواقع الموستيرية الهامة بما احتواه من بقايا بشرية زيادة على الأدوات الحجرية. (ابراهيمي، 2007، صفحة 47)

**أ–الحضارة العاترية:**

تتميز المواقع العاترية على خلاف المواقع الموستيرية بأنها كثيرة العدد والانتشار في جميع بلاد المغرب والصحراء، ومن أبرزها موقع بير العاتر (تبسة) الذي اشتق منه اسم هذه الحضارة، موقع عين طاية، موقع بيرار (عين تاقورايت)،وموقع الخنازير بحيدرة قرب مدينة الجزائر. وهي حضارة امتدت بين 69000-20000 سنة قبل الميلاد.

كان فريديريك مورو أول من أشار إلى الصناعة العاترية عام 1888م، وذلك عندما التقط أدوات مذنبة في واد سليحة، حيث استعمل إنسان هذا العصر بجانب الحجر الأخشاب والجلود والعظام وبيض النعام وقشوره، فإنسان

الحضارة العاترية أول من ابتكر أدوات متطورة كأدوات الحفر والقطع والمثقاب، كما طور تقنية أخرى ألا وهي إدراج المقابض على الأدوات لسهولة التحكم فيها.

أما الصيد المتخصص فقد عرف بدايته مع الحضارة العاترية، حيث فضل إنسان هذه الحضارة صيد الغزلان البالغة الصغيرة والمتوسطة الحجم، والدليل على ذلك العظام المتعددة التي عثر عليها في الكهوف التي كان يشغلها.

كان انتشار الحضارة العاترية ملحوظا حيث وصلت غربا حتى المحيط الأطلسي وشرقا حتى وادي النيل، وجنوبا حتى حدود الصحراء الجنوبية، ويلاحظ أيضا بأن تقنيتها قد وصلت قمة تطورها في الجزائر والمغرب الأقصى حيث شملت في نفس الوقت بعض الأشكال النيوليتية التي تتمثل في التهذيب الوجهي للبيفاس، وتدل الحفر الجانبية بدورها على وجود لمسات قفصية، هذا من جهة ومن جهة أخرى يظهر تأثير العاترية بوضوح في "تيوريرين" وسط عرق تيهودينفي سفوح جبال تاسيلي ناجر في شكل مجموعات متراكمة، وهي إحدى ذخائر متحف باردو بالجزائر. (بالو، 2005، صفحة 86)

ظهرت الحضارة العاترية "في الغرب الجزائري خلال العصر الجليدي الأخير من الزمن الجيولوجي الرابع واستغرقت مدة طويلة انتشرت خلالها انتشارا كبيرا في شمال إفريقيا حتى شملت فترة الإنسان العاقل الذي جاء ظهوره متأخرا في المناطق الأخرى أكثر منه في أوروبا، حيث يبدو أنه ظهر في الشرق الجزائري في حوالي الألف التاسعة ق.م، وفي الصحراء تعود بقاياه إلى الألف الرابعة ق.م وهو الذي حدد انتشار ذلك النوع القديم من البشر ونعني بهم أناس نياندرتال ويعود إليه الفضل في تكوين الهوية الثقافية التي تركتها مجموعاته في المواقع التي عاشت بها. (بالو، 2005، صفحة 88)

### 3.4حضارات العصر الحجري المتأخر:

#### أ- الحضارة الإيبيرو- مغربية:

يوجد الحقل الرئيسي في مويلاح (بالقرب من مغنية). إذن كان يمكن أن تسمى "المويلاحية" أو "الوهرانية" كما اقترح فوفري vaufry وتوجد أيضا في أفالو بوالرمل.

الإيبيرومغربية صناعة ذات أبعاد مصغرة تتكون من شفيرات ذات ظهر منطرح، وشفيرات خامة، وشفيرات ذات ثلم ومكاشط. ويمثل ناس ترابطا عرقيا حقيقيا، تمّ الغزو من الشرق إلى الغرب وبسرعة، فتمّ إحتلال السواحل والمنطقة التلية، ولم يتم عبور الأطلس التلي إلاّ في الغرب ولم تدرك السهول العليا إلا في تيارت. يسمى النوع الإنساني مشتى العربي، وهو معروف لدينا بفضل هياكل عظيمة مكتشفة في مغارة بالقرب من بجاية بصفة خاصة (أفالو بوالرمل)، وفي كولوماناتا بالقرب من تيارت، وفي تافورالت (شمال وجدة) (قداش، 1993، صفحة 13)

#### ب- الحضارة القفصية:

اكتشفت بعض آثارها بين منطقة قفصة بتونس الحالية وبعض مرتفعات الجزائر الشرقية حيث جبال الأوراس وتبسة وسوق أهراس وقسنطينة. وقد انتقلت هذه الحضارة إلى أوروبا عن طريق جبل طارق وتطورت هناك حتى أصبحت تسمى "الحضارة الأورجناسية " (بوعزيز، 2009، الصفحات 22-23)

شكل الحلزون الغذاء الأساسي لإنسان هذه الحضارة، "وقد وجدت ثلاثة أنواع من البحيرات المالحة موزعة على كامل خريطة بلاد المغرب الشرقية وهي التي أعطت للمنطقة ميزة خاصة بها، واحتل معظمها سهول القطاع القسنطيني المنخفضة وجنوب تونس، تغلغلت بعد ذلك وسط الصحراء، ويبدو أن هذه الظواهر الجغرافية هي التي ساعدت توسع الحضارة الفينيقية حتى شملت كامل شواطئ بلاد الأمازيغ، فيما عدا الصحراء التي تقل وتتناثر فيها الآثار القفصية، ومن المحتمل أن يكون الإنسان القفصي قد سكن الأكواخ المغطاة بالأغصان، وتمثل أماكنها فضلاته التي بقيت بدائية لا تختلف كثيرا عن تلك السابقة الذكر، مما يدعم فكرة كون إنسان قفصة يمثل أول ظهور لما نسميه حاليا بالأمازيغ، إلا أن هناك كثير من المؤثرات الخارجية التي تميز الإنسان القفصي عن الأمازيغي انطلاقا من أنواع المعيشة النيوليتية. (بالو، 2005، صفحة 113)

**ج- حضارات أخرى لا تنتمي إلى الحضارة الايبرو-مغربية والقفصية:**

هي حضارات حديثة الاكتشاف لم يتم تسميتها، ولا تزال بحاجة إلى دراسات معمقة.

### 4.4حضارة العصر الحجري الحديث (نيوليتيك):

مارس الإنسان الصقل والنحت وصناعة سن رؤوس السهام الثنائية الوجه، والفخار، والزراعة وتربية الحيوانات. وتشكل هذه التقدمات الهائلة، التي لم تتحقق في وقت واحد، الثورة النيوليتية. وقد عمت الجزائر والصحراء. في الشمال، فإن الفخار ذو عمق مخروطي قليل الزخرفة في أغلب الأحيان، الأدوات العظيمة هامة جدا. وأصداف بيض النعام مزينة بخطوط هندسية، كما استخدمت ملونات. والنيوليتي الجزائري حديث نسبيا في الشمال، وبالعكس قديم جدا في الصحراء (6700 ق.م). تغير المظهر الطبيعي، خلال النيوليتي، فغدا المناخ أكثر جفافا وتغيرت الحيوانات: اختفى الفيل وفرس النهر، وظهرت الحيوانات الداجنة خاصة الحصان والكلب.

كان النيوليتي فقيرا نسبيا في التل. إنه لفي الصحراء شكل أوجه، مع العديد من الاختلافات الجهوية. هنا ظهرت أدوات متقنة: أحجار مصقولة، ورؤوس سهام وفنّ نفيس جدا: نقوش ورسوم (الأحجار المكتوبة، رسوم منقوشة)، واللباس والحلي والأسلحة المستعملة من طرف الإنسان. (قداش، 1993، صفحة 19)

### 5.4حضارة فجر التاريخ:

ليس من النافع جدا اعتبار نهاية النيوليتي حدا لما قبل التاريخ، حقيقة أنه بعد العصر النيوليتي كاد استعمال الحجارة كمادة أولية في صناعة الأدوات أن يتلاشى نهائيا، لكن المعادلة القائلة بأن ما قبل التاريخ= عصر الحجارة قد

تجاوزها الزمن في الوقت الحاضر، إذ نعلم أن هناك مواد أخرى كثيرة قد تناولها الصناع القدامى، مثل العظم وبيض النعام والطين، والخشب بصفة محتملة جدا.

برزت المرحلة التالية للعصر النيوليتي في مجال الآثار في صورة ثورات جديدة لا نعرف كيف حدثت على وجه التحديد، ولكن وثائقها تشهد عليها، وتتضح هذه التبدلات أولا في الكيفية الجديدة لدفن الموتى، وهو هذا التنوع الكبير في الصروح الجنائزية التي تتأكد بوضوح في مشاهد المقابر الميغاليتية الواسعة.

لقد احتفظت هذه الآثار بوثائق تشهد بتجديدات أخرى، مثل استعمال المعدن، ولكيفيات الجديدة لصنع وزخرفة أواني الفخار. (ابراهيمي، 2007، صفحة 131)

هناك أمر هام يكمن في التوزع الجغرافي للصروح الجنائزية المحتوية على الفخار ، انها تتواجد كلها باستثناء واحدة أو اثنين في مناطق التهاطل الكافي لإمكانية القيام بزراعة القمح دون حاجة إلى سقاية. يضاف هذا إلى أشكال الأواني التي تحتوي على أوجه شبه كثيرة بالأواني الحالية. هذا كله دليل يوحي بالاعتقاد في أن السكان كانوا زراعا مستقرين. (ابراهيمي، 2007، صفحة 134)

## 5. الممالك البربرية:

رغم ما يكتنف أصول قدم نشأة مملكة نوميديا من غموض، إلا أن قوتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في القرن الثالث قبل الميلاد دليل على قدم نشأتها.

وقد انقسمت مملكة نوميديا في القرن الثالث قبل الميلاد إلى مملكتين؛ مملكة نوميديا الغربية (المازيسيل) ومملكة نوميديا الشرقية (الماسيل).

قبل التطرق إلى ما تميزت وزخرت به مملكة نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية سوف نعرج على الأصل البربيري في الجزائر.

### 1.5أصل البربر:

يبقى الأصل البربري متعذر الحل، وقد قدمت عدة فرضيات، وتحاول الدراسات الحديثة أن تثبت قدم التعمير وتنوعه في آن واحد. ويمكن أن تكون الحركات السكانية الأساسية قد تمت في نهاية الباليوليتي وخلال النيوليتي: فخلال القفصية غزا أناس من جنس متوسطي إفريقيا الشمالية، من الشرق. والتحق بهم رعاة صحراويون، جاءوا من أعالي النيل، وكانت هناك أيضا أقلية من السود. يمكن اعتبار البربر في الجزائر يعود إلى أناس مشتى العربي وإلى الذين سبقوا المتوسطين. ومن المؤكد أن إلتحامات وامتزاجات عرقية قد أثرت في سكان البربر خلال الأزمنة النيوليتية والتاريخية، فقد إختلط بعض السكان بالأهالي، وهم الفينيقيون والوندال واليونانيون والعرب والأتراك، لكن باستثناء العرب والأتراك بدرجة أقل، فإن أية هجرة لم تكن قادرة على تغيير الشروط العرقية للجزائر بشكل عميق. (قداش، 1993، صفحة 27)

أما الاسم الحقيقي للشعب البربري هو الجذر م ز غ MZG أو م ز ك MZK الذي يوجد في مازيس Mazices ومازاس Mazaces و مازاسيس Mazaceces.

### 1.5مملكة نوميديا الغربية (المازيسيل):

سميت بهذه التسمية نسبة إلى قبائل المازيسيل، وكان على رأسها الملك سيفاكس الذي وصفه تيتوس ليفيوس ( وهو مؤرخ روماني) بالملك الأقوى في كل إفريقيا ، امتدت حدود هذه المملكة من شرق المغرب الحالية حتى الشرق الجزائري، وبالتالي فالحدود الغربية كانت ثابتة، لكن الحدود الشرقية عرفت عدة تغييرات، أما الحدود الجنوبية فلا تزال غامضة والتي كانت تمتد حتى تخوم جيتوليا (تمثل الحدود خطوطا واضحة المعالم، ومحددة في الفصل بين الدولتين، أما التخوم فهي مناطق وصل تشبه المنطقة المحايدة).

عاصمتها سيقا (عين تيموشنت حاليا)، ازدهرت الزراعة وكذا المبادلات التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد صك سيفاكس عملة خاصة بمملكته، وقد تميزت بمجموعتين، المجموعة الأولى وهي الأقدم يظهر بها سيفاكس بملامح الشخص الأمازيغي، بعدها طبع سيفاكس عملة ثانية بظهر بها على شكل ملك يرتدي تاجا، كذلك يوجد رمز البرنوس النوميدي.

ذلك هو شأن مملكة المازيسيل في عهد الملك سيفاكس، الذي ظهر خلال الحرب البونيقية الثانية، كملك كبير من شأنه أن يلعب دورا سياسيا وعسكريا هاما، وهو ما أدركه الرومان و القرطاجيون الذين تسابقوا لكسب رضاه.

بعد هزيمة سيفاكس و المصير الذي آل إليه،حكم ابنه فيرمينا على ما يفهم من النصوص مدة قصيرة، وضع الماسيل حدا لها، و مدوا حدود مملكتهم حتى حدود موريطانيا.

يعتبر الضريح الملكي الجنائزي النوميدي بعين تيموشنت من أبرز المعالم الأثرية التي تعود لهذه المملكة، وينسب إلى سيفاكس وابنه فيرمينيا.

### 2.5 مملكة نوميديا الشرقية (الماسيل):

سميت بهاذا الاسم نسبة إلى قبائل الماسيل، " و قد اعتبر بعض المؤرخين المعاصرين الملك إيليماس Ailymas ،كأقدم ملوك الماسيل، ، مما يسمح لنا إضافة إلى قبر المدغاسن الذي ينسب إلى هذه القبائل، باعتبار أن الأسرة التي ينتمي إليها غايا (GAIA) وابنه ماسينيسا، كانت في السلطة منذ أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث ق م، غير أننا بدأنا نعرف هذه المملكة أفضل خلال القرن الثالث.

في القرن الثالث قبل الميلاد، يبدو أن هذه المملكة كانت تغطي الشرق الجزائري وغرب تونس،لكن حدودها كانت متغيرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في إفريقيا الشمالية،ويمكننا عموما أن نقول أنها كانت

محصورة بين الأراضي القرطاجية في الشرق ومملكة المازيسيل في الغرب.، أما في الجنوب، فكان سلوك قبائل الجيتول يرتبط أساسا بالإمكانيات التي يتوفر عليها ملك الماسيل لمد نفوذه على قبائل الرحل هذه.

كانت سلطة ملك الماسيل في بداية الحروب البونيقية، تمتد على الأوراس و الشرق القسنطيني و الظهر التونسية، والجزء الأكبر من مجردة الوسطى ،وكذا أراضي الاستبس التي تحاذي السرت الصغرى في حدود أراضي الجرامانت.

مهما كان امتدادها، فمملكة الماسيل كانت تغطي مناطق غنية،تشكل وحدة متماسكة أكثر من المنطقة الغربية على رأي البعض منطقة جبلية وغابية ملائمة للمواشي الضخمة، إضافة إلى كونها تمتلك في مناطق الهضاب والسفوح أراضي ملائمة جدا للحبوب.

في الهضاب العليا و حتى على السفوح الجبلية الجنوبية كانت الزراعات تحتل مساحات هامة، وهو ما تكشفه لنا المقابر النوميدية التي تدل على وجود سكان ريفيين مرتبطين بالأرض أكثر من سكان المناطق الغربية، إلى جانب كل هذه المزايا الطبيعية، يمكن الإشارة إلى قرب الأراضي القرطاجية التي يمكن الاستفادة من عوامل النهضة والتنمية بها. (حارش، 2009، صفحة 277)

بعد الحرب البونيقية تمكن ماسينيسا ( الذي ورث الحكم عن أبيه غايا GAIA والذي كان وحسب ما هو متعارف عليه أن يعتلي العرش الأكبر سنا، وبذلك بعد وفاة غايا اعتلى عمه العرش لكن عمه كان طاعنا في السن فعملت قرطاج بتواطؤ مع سيفاكس بأخذ ملك ماسينيسا، لكن هذا الأخير استعاد الحكم) من توحيد النوميديتين، حيث حمل شعار "إفريقيا للأفارقة".

كان حكم ماسينيسا أول حكم تاريخي، فقد كان طويلا، وهذه المدة الطويلة تفسر بالقوة البدنية والفكرية للعاهل بدون شك، لكنها تفسر أيضا بكفاءة الملك الذي عرف كيف يفرض سلطته على أفراد عائلته ويبعد المنافسين المحتلين، وعرف ماسينيسا كيف ينظم جيشا نظاميا تحت سلطته. وكان تنظيم هذا الجيش مشروطا بتنظيم المالية، فاستلهم الملك في كل هذه الميادين النموذج البونيقي.

كانت مملكة ماصيليا تملك مناطق فلاحية عديدة، ووفرت الفتوحات أراضي غنية جديدة للمملكة: في بعض الجهات، يكفي كشط الأرض بعد الحصاد كي تعطي الحبوب الساقطة محصولا جديدا، وباستغلاله لحقوله بنفسه قدم ماسينيسا المثل لرعاياه وكانت النتائج التي تحصل عليها أصل شهرته فيما يخص الفلاحة.

أما بالنسبة للمدن فقد استلهم ماسينيسا تنظيمها من المدن الفينيقية فظهرت العديد من المدن منها العواصم: سيرتا، سيغا Siga ، إيول Iol، زاما، ومدن أخرى مثل تيميديا ريجيا، زاما ريجيا، ...

فيما يخص التجارة فقد كانت مهمة، وما يؤكد ذلك الكثير من النقود تمثل شخصية ملتحية، وعلى الظهر حصانا طليقا راكظا أو ثائرا، والعديد منها يحمل MN اختزالا لـ MSNSN بمعنى ماسينيسا أو MKWSN بمعنى ماسيبسا – كانت النقود قد ضرب ت قبل ماسينيسا– وكانت عملة من الرصاص ومن البرونز تلك التي استعملت في التجارة الداخلية، وكانت هذه المبادلات تتم بالمقايضة أيضا، وكان السكان الريفيون يدفعون ضرائبهم ماشية وقمحا، أما التجارة الخارجية فقد هيأ لها ماسينيسا نقودا من الذهب والفضة الأجنبيين اللذين كان يتحصل عليهما مقابل القمح والعاج وريش النعام وحيوانات السرك والخشب.

أما بالنسبة للدين، ففي زمنه كانت المدن تعبد بعل هامون، والآلهة فينيقية، أما الريف فكان يعبد الآلهة والجنيات المحلية. وكان بعض الليبيين يعبدون الشمس والقمر أيضا. (قداش، 1993: 74–80 بتصرف) ومن ثمة فإن ماسينيسا لم يفرض ديانة محددة على رعاياه.

في العام 149 ق.م توفي ماسينيسا عن عمر ناهز 90 عاما، وتخليدا لذكراه شيد له ضريح في مرتفع يشرف على المدينة والمتواجد بالخروب.

## 6. خاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة أن العلاقة بين الإنسان والبيئة في الجزائر لم تكن علاقة خطية أو أحادية الاتجاه، بل مثلت تفاعلا ديناميكيا تداخلت فيه العوامل الطبيعية مع المبادرات البشرية عبر الزمن، فمن خلال استعراض المدارس النظرية المختلفة، تبين أن البيئة يمكن أن تكون عاملا محفزا أو مقيّدا، حسب قدرة الإنسان على التكيف والتأقلم، كما كشف التحليل الجغرافي أن الموقع الاستراتيجي والتضاريس المتنوعة للجزائر وفرت إطارا طبيعيا ساهم في نشوء أشكال متعددة من الاستيطان والتطور الحضاري.

أظهرت الأدلة الأثرية أن الإنسان الجزائري القديم لم يكن مجرد متلق لعوامل الطبيعة، بل كان فاعلا رئيسيا في تشكيل محيطه، وهو ما يتجلى في حضارات ما قبل التاريخ التي تركت بصماتها في مناطق كثيرة من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب. أما الممالك البربرية فقد مثلت مرحلة متقدمة من التنظيم السياسي والاجتماعي، أكدت قدرة السكان الأصليين على بناء أنظمةحكم وإقامة علاقات دولية، مع الحفاظ على هوية ثقافية خاصة

## 7. قائمة المراجع:

**المؤلفات:**

–ابراهيمي، ك، (2007)، *تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر*، ترجمة مُحَّد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، وزارة الثقافة، الجزائر.

-الرديسي، سمير مُحَمَّد علي حسن ، جهينة، عبد المحمود علي أحمد ، (د.س)، *مقدمة في الجغرافيا البشرية*، جامعة الخرطوم.

-بوعزيز، يحي، (2009)، *الموجز في تاريخ الجزائر –الجزء الأول الجزائر القديمة والوسيطة-*، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

-بالو، ليونال، (2005)، *الجزائر في ما قبل التاريخ*، ترجمة وتقديم مُحَمَّد الصغير غانم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر.

- قدّاش، محفوظ، (1993)، *الجزائر في العصور القديمة*، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

**المقالات:**

- حارش، مُحَمَّد الهادي، ( 2009)، الجذور التاريخية لمملكة نوميديا ، *مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب مصر*، المجلد 10، العدد1، 273-290 .

**ميدياغرافيا:**

- دومير مُحَمَّد ، بئر العاتر: الحضارة العاترية بالجزائر وأثرها على الحضارة الفرعونية.
https://youtu.be/MwQttXY_byI